من وحى المؤتمر الثقافى العربى

للانسة عزيزة توفيق

ها نحن أولاء جلوس فى حجرة الاستقبال « الصالون » بكلية الآداب بالشاطبى بالأسكندرية وقد تعددت اللهجات ، كل جاء يحمل مشعلا ليشترك فى اشعاع الضوء من الكوكب الدرى الذى مرت على ضوئه غيوم خفيفة حجبت نوره فترة من الزمن ، وإن لم يفقد الضياء .

وها نحن أولاء نشم عبير الهواء محملا برائحة (اليود) فنسرى فى أرواحنا نشوة نشاط ، ونرى الأمواج تسرع متسابقة متلاحقة يستخفها الفرح والسرور كأنها ترحب بنا . لقد دار الزمن دورته واجتمعت وفود العرب فى الأسكندرية التى كانت مهد الثقافة العربية وملتقى العلماء من كل فوج .

لقد اجتمعت وفودنا نحن العرب لنتباحث فى أحسن الوسائل العلمية التى تساعد على نشر الثقافة العربية . لقد جرف الشرق تيار قوى الموج يحمل معه زبد المدنية والحضارة وجرفنا نحن العرب أمامه ، وما زال يدفعنا ولما نستطيع الرجوع ضد التيار بعد. قام كل من المصلحين أو الداعين إلى الاصلاح يدلى برأى ؛ فمن قائل : يجب أن نعنى بالتراث القديم ، ونحيى ذكر العلوم العربية القديمة ونخرج كنوزها ونبتعد عن الثقافة الغربية ، ونسى أنه لكى نكون مثقفين يجب ألا نغلق عقولنا على ثقافة واحدة ، وأن نأخذ الخير من الثقافات الغربية لتكون بمثابة طعم لثقافتنا . لقد سلكت وزارات المعارف العربية طرقا شتى فى وضع برامج مختلفة تغيرت مرات كثيرة تبعا للظروف السياسية وما تقتضيه سياسة الاستعمار أو ما حظيت به بعض الشعوب من استقلال.

وها قد اجتمعت وفودهم اليوم ليوحدوا برامج التعليم ونسوا أن هذه فكرة مستحيلة ؛ إذ أنه لكى تكون الفائدة من العلم محققة يجب أن يتمشى مع عادات كل أمة وتقاليدها وما تقتضيه مصالحها ونواحى الحياة الاجتماعية والسياسية فيها . إن البلد الواحد يجب أن يتنوع فيه التعليم حسب الأقاليم ؛ فمثلا البلاد الزراعية يجب أن يعم فيها التعليم الزراعى ، وفى المدن الصناعية يجب أن يعم التعليم الصناعى ، وهكذا .

ولكنى أرى أن الفائدة الحقة من العلم والثقافة بوجه عام هى أن يكون علما تربويا وثقافة سلوكية ؛ أى نعنى بتربية أبنائنا التربية الخلقية التى تتناول كل مرافق الحياة من النواحى الخلقية والدينية والعلمية والفنية . يجب أن نعلم أولادنا الحياة ، أى نعلمهم ليعرفوا كيف يعاملون الناس وكيف يحترمون أهليهم ومن هم أكبر منهم سنا وكيف يأكلون ويشربون ويلبسون .

هذه هى أغراض التعليم والثقافة الصحيحة ، إذ لا فائدة من علم أو ثقافة تقرأ فى الكتب لتنمى العقل وليس له أثر فى التكوين الشخصى والشعور والوجدان الذى يعبر عنه بالضمير .

لقد رأينا أولادنا وإخواننا وزملاءنا فى الجامعات والمعاهد العالية يقفون حيارى ، فقد احتشدت أذهانهم بالعلوم والنظريات التى تلقوها بأية وسيلة مهما اختلفت المناهج وطرق التعليم . ولكنهم لا يجدون لهذا الحشد من النظريات العلمية والمعارف الثقافية أى صدى فى نفوسهم . لقد ساروا فى مرحلة المراهقة التى يتشكك فيها الطالب فى كل شىء ، وليس لهم من أساس دينى يقوى فيهم الروح والعقيدة فباتوا يتساءلون من هم ، وماذا يراد بهم فى الحياة؟ وثاروا على كل شىء ، وانهز دعاة السوء ثورتهم تلك فباتوا يملأون أوعية نفوسهم الفارغة بآرائهم ومعتقداتهم الهدامة . وكانت مأساة الشباب التى شهدناها فى مصر وغيرها من البلدان العربية. لقد تلقى النشء العلم مجردا ، ولم يعن بتربيتهم تربية صحيحة سلوكية أو دينية خلقية ، فشى العقل وبعد مسافات عن الروح ، ومن هنا كانت الثورة وكان النزاع وكان عدم الاستقرار الذى يهدد حياة الشباب وأهدافهم ومثلهم العليا فى الحياة وما يسعون له فى الحياة .

وإذا تنبهت وفودنا إلى ذلك وراح بعض المصلحين ينادون بجعل الدين عنصرا أساسيا فى الثقافة العربية إذا بقائل آخر يعترض متسائلا عن أى دين يتبع .

ولو فكر قليلا لعلم أن جميع الأديان تهدى وتبين الشرائع